عطفُ المرادف في القرآن الكريم بين النحويين والمفسرين

Synonymous´s Conjunctions in the Holy Quran Among grammarians and interpreters.

م.م. آلاء شفيق وهاب
الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب

A.L. alaa shafeeq wahab
University of mustansiriya /college of arts.

كلمات مفتاحية :العطف- الترادف- النحو

Key words (conjunction - synonyms - syntax)

ملخص البحث

يعدُّ العطف أسلوبًا من أساليب العربية المؤدية إلى اتساق الجمل ومن ثمّ يؤدّي إلى تماسك النص، وله أدوات خاصة به تعمل على ربط الجمل فيما بينها ترابطًا بنيويًا معنويًا بشرط اقتضاء المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، وقد حظي باهتمام النحاة ووضعوا له أحكامًا وأقسامًا وبرز من ضمن هذه الأقسام قسم اصطلحوا عليه عطف المترادفين، وفي ذلك خروج عن أصل القاعدة المتواضع عليها من قِبل النحاة، إذ الترادف يعني المطابقة بين المعنيين، والعطف يقتضي المغايرة بين المعنيين، وقد عالجت الدراسة هذه الظاهرة مستقصية آراء النحويين والمفسرين، ومستعينة بالسياق اللغوي وسياق المقام وأسباب النزول، مع مراعاة أحوال المخاطب لتفسير حقيقة هذه الظاهرة، وقد أحصى الزركشي في برهانه الآيات التي يقال إنّ بين ألفاظها المعطوفة يوجد ترادف وذكر أنّ ذلك إنّما يكثر في المفردات كما يكون في الجمل؛ لذلك قسّمت الدراسة على مطلبين، مسبوقة بتمهيد جاء المطلب الأول بعنوان العطف بين الجمل المفردات، والمطلب الثاني، حمل عنوان العطف بين الجمل، وخاتمة تضمّنت النتائج التي توصلّت إليها الدراسة، وقائمة بالمصادر... والحمد لله ربّ العالمين.

Abstract

Conjunction is one of the methods in Arabic language that leads to the consistency of sentences and text cohesion. It has its own tools that link the sentences with one another، structurally and morally، provided achieving the difference between the two conjectured parts is required. It has received the grammarians' attention who set provisions and sections for it. Among these sections emerged what they called conjunctions of the synonyms، which is a departure from the original rules agreed upon by the grammarians. Synonymy means matching between the two meanings، and conjunction requires contrast between the two meanings. This study addressed with this phenomenon by investigating the opinions of grammarians and interpreters with the help of the linguistic context، the context of the place، and the reasons for the revelation، taking into account the conditions of the addressee to explain the reality of this phenomenon. In his proof، Al-Zarkashi enumerated the verses that are said to be synonymous among the synonymous terms، and he mentioned that this is just as abundant in vocabulary as it is in sentences. Therefore، the study was divided into two requirements، preceded by a preface. The first requirement came under the title of "conjunction between synonymous sentences"، and the second requirement was titled "Conjunction between the vocabulary"، and a conclusion that included the results of the study، and a list of sources... Praise be to God، Lord of the Worlds.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين...

يعدّ العطف أسلوبًا من أساليب العربية المؤدية إلى اتساق الجمل ومن ثمّ يؤدي إلى تماسك النص، وله أدوات خاصة به تعمل على ربط الجمل فيما بينها ترابطًا بنيويًا معنويًا بشرط اقتضاء المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه، وقد حظي باهتمام النحاة ووضعوا له أحكامًا وأقسامًا وبرز من ضمن هذه الأقسام قسم اصطلحوا عليه عطف المترادفين، وفي ذلك خروج عن أصل القاعدة المتواضع عليها من قِبل النحاة؛ إذ الترادف يعني المطابقة بين المعنيين، والعطف يقتضي المغايرة بين المعنيين، وقد عالجت الدراسة هذه الظاهرة مستقصية آراء النحويين والمفسرين، ومستعينة بالسياق اللغوي وسياق المقام وأسباب النزول، مع مراعاة أحوال المخاطب لتفسير حقيقة هذه الظاهرة، وموضوع بحثنا هذا يدور في فلك العطف والترادف؛ إذ فصّل النحويون والمفسّرون في أسلوب العطف وجعلوه أقسامًا منها: عطف العام على الخاص، والخاص على العام، والعطف التلقيني، العطف في التحذير والإغراء، ومنها عطف أحد المترادفين على الآخر، أو ما هو قريب منه في المعنى والقصد منه التأكيد، وهذا إنما يكون عند اختلاف اللفظ، و يحسن ذلك بالواو ويكون في الجمل والألفاظ المفردة. والأخير انبنت عليه فكرة بحثنا هذا فهل يعطف الشيء على مرادفه، وما الفائدة المرجوّة والدلالة المتحصّلة من ذلك؟ هذا ما تناولناه بالدراسة والتحليل وصولًا إلى النتائج.

وقد أحصى الزركشي في برهانه الآيات التي يقال إنّ بين ألفاظها المعطوفة يوجد ترادف، وذكر أنّ ذلك إنما يكثُر في المفردات كما يكون في الجمل؛ لذلك اقتضت طبيعة الدراسة أن تقسّم إلى مقدمة، وتمهيد، ومطلبين، وخاتمة موضحة النتائج التي توصل اليه البحث، فجاء المطلب الأول بعنوان العطف بين المفردات، أمّا المطلب الثاني فخصّص لدراسة العطف بين الجمل، وخاتمة تضمّنت النتائج التي توصل إليها البحث، وقائمة بالمصادر... وأخيرا أودّ أن أوضّح أهمّ المصادر التي استقيت منها مادة البحث، فقد أفدت من التفاسير، والمعجمات اللغوية، وكتب النحو، واللغة، و قمت باعتماد النصوص القرآنية التي قيل إنّها من قبيل العطف بين المترادفين والتي أحصاها الزركشي كما أوضحت آنفًا، متناولة إياها بالشرح، والتحليل، والمناقشة، والترجيح، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

التمهيد:

العطف من أساليب العربية الذي يؤدّي إلى تماسك الجملة بل يتجاوز حدود الجملة إلى فضاء النص، وهو ظاهرة تناولها النحويون بالاهتمام وقعّدوا لها القواعد ولاتختصّ هذه الظاهرة بالمفردات بل تحصل بين الجمل، وهي بنية أساسية تقوم على ربط وتماسك هيكلية النص بأدوات العطف المتضمّنة دلالات تساهم في إعطاء المعنى المراد، وقد أوضح النحويون أهمية الجانب الدلالي الذي يؤديه العطف وما له من دور في تماسك بنية الجمل وبالتالي ترابطها، وهذا يقود إلى نصّ متماسك ومترابط،

وهو ((على ثلاثة أضرب: عطف اسم على اسم إذا اشتركا في الحال، كقولك: (قام زيد وعمرو). ولو قيل: (مات زيد والشمس)، لم يصحّ؛ لأن الموت لا يكون من الشمس، وعطف فعل على فعل إذا اشتركا في الزمان، كقولك: (قام زيد وقعد). ولو قلت: (ويقعد)، لم يجز لاختلاف الزمانين. وعطف جملة على جملة، نحو: (قام زيد، وخرج بكر)، و(زيد منطلق، وعمرو ذاهب) والمراد من عطف الجملة على الجملة ربط إحدى الجملتين بالأخرى، والإيذان بحصول مضمونهما، لئلا يظن المخاطب أن المراد الجملة الثانية، وان ذكر الأولى كالغلط، كما تقول في بدل الغلط: (جاءني زيد عمرو)، و(مررت برجل ثوب)، فكأنهم أرادوا إزالة هذا التوهم بربط إحدى الجملتين بالأخرى بحرف العطف، ليصير الإخبار عنهما إخبارا واحدا))[١] والعطف: تابع يدلّ على معنى مقصود بالنسبة مع متبوعه، ويتوّسط بينه وبين متبوعه أحد أحرف العطف[٢]، وتعدّ أدوات العطف من وسائل اتساق النص[٣]، وعنصر ارتباط لتحقيق فاعلية المعنى وإزالة الإبهام والغموض على مستوى النص؛ ذلك ((أنّ الجملة هي وحدة تركيبية ذات معنى دلالي مفيد، وأنّ العلاقة الإسنادية هي أساس تكوّن الجملة ونواتها،... إضافة إلى متعلقات وعناصر ارتباط وربط أخرى))[٤]، وهذه العناصر تشكّل ((وسائط لفظية توثّق جزئيات الجملة مع بعضها وفقًا لمقتضيات النظم، ووفاء بالدلالة السياقية التي يستمدّ النص معظم معطياته منها، أو على ضوئها في حالات مختلفة))[٥]، ومن بين هذه الوسائط حروف العطف. وموضوع بحثنا هذا يدور في فلك العطف والترادف؛ إذ فصّل النحويون والمفسّرون في أسلوب العطف وجعلوه أقسامًا منها: عطف العام على الخاص، والخاص على العام، والعطف التلقيني، العطف في التحذير والإغراء، ومنها عطف أحد المترادفين على الآخر، أو ما هو قريب منه في المعنى والقصد منه التأكيد، وهذا إنما يجيء عند اختلاف اللفظ، وإنما يحسن بالواو ويكون في الجمل والألفاظ المفردة[٦] .

قال صاحب الكليات في معنى الترادف: هو (الِاتِّحَاد فِي الْمَفْهُوم، لَا الِاتِّحَاد فِي الذَّات، كالإنسان والبشر وَحقّ المترادفين صِحَة حُلُول كل مِنْهُمَا مَحل الآخر هَذَا مُخْتَار ابْن الْحَاجِب فِي (أُصُوله) وَهُوَ أَنه يجب ذَلِك مُطلقًا.... والمترادفان يفيدان فَائِدَة وَاحِدَة من غير تفَاوت، وَالتَّابِع لَا يُفِيد وَحده شَيْئا، بل بِشَرْط كَونه مُقَيّدا بتقدّم الأول عَلَيْهِ.... والمترادفان مثل: (بثي وحزني) (سرهم ونجواهم)، (شرعة ومنهاجا)، (لَا تبقي وَلَا تذر)، (إِلَّا دُعَاء ونداء) (أَطعْنَا سادتنا وكبراءنا)، (صلوَات من رَبهم وَرَحْمَة)، (عذرا أَو نذرا))[٧]. وعلّل صاحب البرهان عطف المرادف بقوله ((إنّ مَجْمُوع المترادفين يحصل معنى لَا يُوجد عِنْد انفرادهما؛ فَإِن التَّرْكِيب يحدث معنى زَائِدًا، وَإِذا كَانَت كَثْرَة الْحُرُوف تفِيد زِيَادَة الْمَعْنى فَكَذَلِك كَثْرَة الْأَلْفَاظ))[٨]. وقد أنكر المبرد العطف بين المترادفين في القرآن الكريم نقلًا عن الزركشي والسيوطي وَأَوَّلَ مَا سَبَقَ من الآيات التي قيل بترادفها عَلَى اخْتِلَافِ الْمَعْنَيَيْنِ[٩]، كذلك أنكر أبو هلال العسكري وقوع الترادف في اللغة والذي صرّح بقوله: ((الشاهد على أنّ اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعاني أنّ الاسم كلمة تدلّ على معنى دلالة الإشارة، وإذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعُرف، فالإشارة إليه ثانية، وثالثة غير مفيدة، وواضع اللغة حكيم

لا يأتي فيها بما لا يفيد))[١٠]. وممّا ورد في القرآن الكريم ممّا قيل فيه إنّه من باب عطف المترادفين الآتي:

المطلب الأول/العطف بين المفردات :

قال تعالى: ((قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ))[١١]، فادعو بتعاطف المترادفين (البث، والحزن) لأنّهما بمعنًى واحد، واخْتصّت الواو بعطف (المرادف) على مرادفه [١٢]، ولكن المعنى اللغوي ثبت أنّ لكلّ منهما دلالة خاصة، فالبثّ: يعني التفريق والنشر، وعدم الكتم من قولك: أبثثته ما عندي، وبثثته أعلنته إياه، وحقيقته في اللغة ما يصيب الإنسان من الأمور المهلكة التي لا يستطيع أن يخفيها، فالبث: ما أبداه الإنسان، وأمّا الحزن فهو ما استطاع الأنسان اخفاءه؛ فيكون بذلك البثّ أعظم وأكثر ألمًا من الحزن؛ لذلك لا يطيق الانسان صبره وتحمّله فيشكوه؛ لذلك يكون العطف في موضعه لتغاير المعنى[١٣].

وفي قوله تعالى: ((فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا عُذْرًا أَوْ نُذْرًا))[١٤]، قيل: إنّ العذر والنذر بمعنى واحد فهما من قبيل عطف المترادفين[١٥]. إذ المواضع التي يترجّح أو يكثر فيها أن تكون (أو) بمعنى الواو، هي تلك المواضع التي يكون بينها نوع من التلازم والاقتران أو المصاحبة بين المتعاطفين، أو تلك التي هي من قبيل عطف المرادِف والمؤكد[١٦]، فيكون المعنى القريب للآية على هذا التقدير: عذراً ونذراً؛ لأنّ الذكر الملقَى أو الموحَى به إنّما هو لأجل الإعذار والإنذار معاً، وليس مقصوراً على أحدهما فقط، دون الآخر؛ لأن كُلاًّ منهما يصلح أن يكون معلولاً بأحدهم[١٧] . ولكن المعنى المعجمي فرّق بين العذر والنذر فـالعذر هي ((الْحُجَّةُ الَّتِي يُعْتَذر بِهَا... وأَعْذَرَ إِعْذاراً وعُذْراً: أَبْدَى عُذْراً... والمُعْتَذِرُ يَكُونُ مُحِقًّا وَيَكُونُ غَيْرَ مُحِقٍّ؛ قَالَ الْفَرَّاءُ: اعْتَذَرَ الرَّجُلُ إِذا أَتى بعُذْرٍ، واعْتَذَرَ إِذا لَمْ يأْت بعُذْرٍ))[١٨]، أمّا النذر فهو من باب التحذير ((وأصل الإنذار الإعلام. يُقَالُ: أَنذَرْته أُنْذِرُه إِنْذاراً إِذا أَعلمته، فأنا مُنْذِر ونَذير أَي مُعْلِم ومُخوِّف ومُحذِّر. ونَذِرْت بِهِ إِذا عَلِمْت؛ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ:انذَرِ الْقَوْمَ أَي احْذَرْ مِنْهُمْ واستعِدّ لَهُمْ وكُنْ مِنْهُمْ عَلَى عِلم وحَذَرٍ))[١٩].

وقوله تعالى: ((وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا))[٢٠]، وقوله تعالى: ((وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا))[٢١] فالمرجّح في الآيات الكريمة - كما ذهب إليه ابن مالك وآخرون أن العاطف (أو) في هذا الموضع بمعنى الواو؛ لأن ظلم النفس هو نتيجة عمل السوء؛ ولأنّ الإثم هو الخطيئة نفسها[٢٢]، ولمّا كانت (أو) مبنية أصلا على عدم التشريك، وأنّ المعطوف والمعطوف عليه بمعنى واحد من جهة أخرى، وكان قد تقرّر عند النحاة أنّ عطف الشيء على مرادفه إنما هو ممّا اختصّت به الواو بدليل ما ذهبوا إليه في قوله تعالى: (قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ) و قوله تعالى: (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) ترجَّح لديهم أن تكون (أو) بمعنى الواو في هذه المواضع. بيد أنّ المعجم فرّق بين الخطيئة، والإثم بأنّ الخطيئة ما كانت عن عمد وعن غير عمد، والإثم لا يكون إلاّ عن عمد[٢٣]. وقيل : الخطيئة ما لم تتعمّده خاصة كالقتل بالخطأ. وقيل : الخطيئة الصغيرة، والإثم الكبيرة[٢٤] .

وفي قوله تعالى: ((أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ))[٢٥]. جيء بعطف (النجوى) و(السر)، وخال بعض العلماء أنّه من قبيل عطف المترادفات[٢٦]، إلّا أنّ المعنى اللغوي يظهر التمايز بين اللفظتين فـ ((النَّجْوَى اسم لِلْكَلَام الْخَفي الَّذِي تناجي بِهِ صَاحبك كَأَنَّك ترفعه عَن غَيره وَذَلِكَ أَن أصل الْكَلِمَة الرّفْعَة وَمِنْه النجوة من الأَرْض وَسمي تكليم الله تَعَالَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام مُنَاجَاة لِأَنَّهُ كَانَ كلَامًا أخفاه عَن غَيره والسرّ إخفاء الشَّيْء فِي النَّفس وَلَو اختفى بستر أَو وَرَاء جِدَار لم يكن سرًا، وَيُقَال فِي هَذَا الْكَلَام سر تَشْبِيها بِمَا يخفي فِي النَّفس، وَيُقَال سري عِنْد فلَان تُرِيدُ مَا يخفيه فِي نَفسه... وَلَا يُقَال نَجْوَايَ عِنْده وَتقول لصاحبك هَذَا سرا ألقيه إِلَيْك تُرِيدُ الْمَعْنى الَّذِي تخفيه فِي نَفسك والنجوى تتَنَاوَل جملَة مَا يَتَنَاجَى بِهِ من الْكَلَام والسر يتَنَاوَل معنى ذَلِك وَقد يكون السِّرّ فِي غير الْمعَانِي مجَازًا تَقول فعل سرا وَقد أسر الْأَمر والنجوى لَا تكون إِلَّا كلَامًا))[٢٧] . أي أنّ النجوى يكون الحديث بين اثنين بخفاء، أمّا السّر فهو كتمان الأمر في النفس. يبدو أنّ أسلوب العطف من الأساليب اللغوية التي تتعدّى بنية الجملة إلى بنية النص كله ؛ لأنّها لا تتمحور في مدار المفردات والتراكيب بل تتجاوز إلى التعالق بين الجمل، بل إلى التعالق ضمن مجموعة من الجمل، مكوّنة نصًا متكاملًا، والعطف المركّب عبارة عن بنية ترتكز وسط بنية أخرى مشكّلة بتآلفها بنية النص، وهذه البنية ترتبط بأدوات العطف لتؤدي إلى نص متماسك الأجزاء لفظيًا ومعنويًا؛ إذ نلحظ في الآية أعلاه ترابطًا داخليًا بعطف كلمة (سرّهم) على (نجواهم) بحرف العطف (الواو) التي توجب الاشتراك بين الشيئين في حكم واحد، ثم ترابط هذا التركيب مع ما قبله ؛ إذ شغل موقع المفعول به للفعل (يعلم)، كذلك ارتبط بما بعده؛ فقوله تعالى: (وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ)، أي كل واحد من بني البشر، جاء متناسقًا مع ضمير الغائب المتصل بالعطف التركيبي السابق أي: أنّه تعالى يعلم سرّ ونجوى كل إنسان، وبذا يرتبط العطف مع ما قبله وما بعده فضلًا عن التمايز المعنوي بين (السر والنجوى) لأداء المقصود، وهو قمة التماسك النصي.

وفي قوله تعالى: ((فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً))[٢٨]، فقيل إنّ (المنهاج) و(الشرعة) متعاطفان بالترادف[٢٩]، قال الراغب نقلًا عن ابن عباس [٣٠]الشِّرْعَةُ: ما ورد به القرآن، والمنهاج ما وردت به السّنّة، وقوله تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحاً)[٣١] ، فإشارة إلى الأصول التي تتساوى فيها الملل))[٣٢]. والشرعة: هو ابْتِدَاء الطَّرِيق، وأمّا المنهاج: فهو الطَّرِيق الْوَاضِح، أَو بكون الأول الدّين، وَالثَّانِي الدَّلِيل[٣٣]. وهكذا نجد أنّ هناك تناسبًا معنويًا اشترطه النحويون أدّى إلى تحقّق العطف بين اللفظين؛ فلا ((يُتصور إشراكا بين شيئين كي يكون هناك معنى يقع ذلك الإشراك فيه))[٣٤]

وفي قوله تعالى: ((وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ))[٣٥]. قيل إنّ الدعاء والنداء بمعنًى واحد[٣٦]، ولكن المعنى اللغوي لا يؤيد ذلك، قال أبو هلال العسكري في الفرق بينهما ((إنّ النداء: هُوَ رفع الصَّوْت بِمَا لَهُ معنى والعربي يَقُول لصَاحبه نَادِ معي

لِيَكُون ذَلِك أندى لصوتنا أَي أبعد لَهُ، وَالدُّعَاء: يكون بِرَفْع الصَّوْت وخفضه يُقَال دَعوته من بعيد ودعوت الله فِي نَفسِي وَلَا يُقَال ناديته فِي نَفسِي، وأصل الدُّعَاء طلب الْفِعْل دَعَا يَدْعُو))[٣٧] . وقيل إنّ الدعاء ((قد يكون بعلامة من غير صوت ولا كلام، ولكن بإشارة تنبئ عن معنى: تعال، ولا يكون النداء إلاَّ برفع الصوت وامتداده؛ لذا لا يُسنَد النداء إلى الله سبحانه، بخلاف الدعاء، قال تعالى: (وَاللَّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ))[٣٨] . قال ابن عاشور: ((النعق نداء الغنم... وقد أخذ الأخطل معنى هذه في قوله يصف جريراً:

فانْعِقْ بضأْنك يا جرير فإنما

منَّتْك نفسُك في الظلام ضلالا[٣٩]

والدعاء والنداء قيل بمعنى واحد، فهو تأكيد ولا يصح، وقيل الدعاء للقريب والنداء للبعيد، وقيل الدعاء ما يُسمع والنداء قد يسمع وقد لا يسمع ولا يصحّ.والظاهر أن المراد بهما نوعان من الأصوات التي تفهمها الغنم، فالدعاء ما يخاطب به الغنم من الأصوات الدالّة على الزجر وهي أسماء الأصوات، والنداء رفع الصوت عليها لتجتمع إلى رعاتها، ولا يجوز أن يكونا بمعنى واحد مع وجود العطف ؛ لأن التوكيد اللفظي لا يعطف فإن حقيقة النداء رفع الصوت لإسماع الكلام، أو المراد به هنا نداء الرِّعاء بعضهم بعضاً للتعاون على ذود الغنم))[٤٠]، وهكذا تعاضد السياق مع الدلالة اللغوية في تخصيص المعنى لكل من لفظي (النداء) و(الدعاء)، فمجيء (ينعق) و (صم وبكم) و(لايعقل)، كلها إشارات بتخصيص الدعاء في السياق الواردة فيه بزجر الأغنام، والنداء برفع الصوت لتجتمع الغنم حول راعيها، فالسياق هو((حصيلة استعمال الكلمة داخل نظام الجملة متجاورة وكلمات أخرى، ممّا يكسبها معنى خاص محدّد، ويُشار في هذا الصدد إلى أنّ السياق اللغوي يوضّح كثيرًا من العلاقات الدلالية عندما يستخدم مقياسًا لبيان الترادف والاشتراك أو العموم أو الخصوص، أو الفروق))[٤١].

وفي قوله تعالى: ((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ[٤٢])). في سياق النص الكريم ورد عطف الرحمة على الصلاة وقيل إنّهما من عطف المترادفين[٤٣] ؛ إذ عندهم الصلاة والرحمة بمعنى واحد، قال الآلوسي : ((الصلاة في الأصل على ما عليه أكثر أهل اللغة الدعاء ومن الله تعالى الرحمة، وقيل: الثناء، وقيل :التعظيم، وقيل: المغفرة))[٤٤]. وقال الإمام الغزالي: الصلاة ((الاعتناء بالشأن، ومعناها الذي يناسب: الثناء والمغفرة؛ لأنَّ إرادة الرحمة يستلزم التكرار، ويخالف ما روي: نعم العدلان للصابرين: الصلاة والرحمة))[٤٥] .وقال الزركشي: ((على قول من فسَّر الصلاة بالرحمة، والأحسن خلافه، وأنَّ الصلاة للاعتناء وإظهار الشرف، كما قال الغزالي وغيره، وهو قدر مشترك بين الرحمة، والدعاء، والاستغفار، وعلى هذا فهو من عطف المتغايرين)) [٤٦]. وقد اتضح أنّه ليس من عطف المترادفين؛ إذ لا يتطابق لفظان في المعنى في القرآن الكريم؛ ذلك أنّ لكل لفظ دلالة خاصة جاءت في موضعها لتحقيق معنى مقصود، وما قيل إنّ المقصود من التكرار التأكيد فذلك إنّما يكون من دون

وجود عاطف، كقوله تعالى: ((كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا))[٤٧]، فالذي بدا أنّ الصلاة من المشترك المعنوي إذ احتملت معاني (العطف، والدعاء، الاستغفار) وقيل إنّ((الصلاة شرعًا من الله رحمة، فهي تقال بالاشتراك اللفظي))[٤٨]. كذلك قيل: ((أنّ الصلاة لغة بمعنى واحد وهو العطف، وهو بالنسبة إلى الله الرحمة وإلى الملائكة استغفار، وإلى الآدميين دعاء البعض للبعض، فهي عليه من قبيل المشترك المعنوي، ومن المعلوم أنّه إذا دار الأمر بين الاشتراك اللفظي والمعنوي فالاشتراك المعنوي أولى؛ لأنّ الاشتراك اللفظي خلاف الأصل لتعدّد الوضع فيه والأصل خلافه، ولا يخفى عليك أنّ العطف يختلف باختلاف مَن نُسب إليه فالمعاني الثلاثة المذكورة في المعنى اللغوي أفراد للعطف، قوله (رحمة مقرونة بتعظيم)، ومن ثم عطفت (الرحمة) عليها عطفا خاصا على عام (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) فإذا أردنا بالرحمة الرحمة المطلقة كان العطف للتفسير))[٤٩]. أي أنّ هذا العطف خاص بفئة معينة من الناس وهم الصابرون وقت نزول البلاء لذلك استحقّوا هذه العناية والثناء من لدن الله. وهي عفوه ورحمته وبركته وتشريفه إياه لهم في الدنيا والآخرة، وهي من أعظم أجزاء الصلاة منه تعالى، وشهد لهم بالاهتداء [٥٠]. يؤيّد خصوصية هذه الفئة وشمولهم بعناية ربانية، القرائن الواردة في سياق الآية الكريمة، فالإشارة بـ (أولئك) اسم الإشارة الموضوع للبعد دلالة على بعد هذه الرتبة[٥١] ، تنبيهًا على علوّ مرُتبتِهم، كما يتضمّن أنَّ الجزاء الوارد بعد (أولئك) تنطوي تحتها الأوصاف المذكورة، لبيان جزاء صبرهم، كذلك مجيء(الصلاة جمعًا؛ فيه معنى المبالغة والكثرة وفيه إظهار لمزيد من العناية والتكريم ؛((ليدلّ على أن ذلك ليس مطلق الصلاة، بل صلاة بعد صلاة، ونكرت لأنه لا يراد العموم. ووصفها بكونها من ربهم، ليدلّ بـ (من) على ابتدائها من الله، أي تنشأ تلك الصلوات وتبتدئ من الله تعالى)) [٥٢] فضلا عن مجيء المركّب الإضافي في (رَبِّهم) مضافًا إلى الضمير(هم)؛ متضمِّنًا مزيدِا من العناية والخصوصية، بأنّ الرحمة الواسعة المستفيضة تظلّهم من الرب المتعالي في ملكه؛ لذا قال (عليهم) أي من فوقهم وفيها معنى الشمول والإحاطة بهؤلاء المشمولين بالعطف الرباني. كذلك ((حذف المضاف، أي صلوات من صلوات ربهم. وأتى بلفظ الرب، لما فيه من دلالة التربية والنظر للعبد فيما يصلحه ويربّيه به. وإن كان أريد بالرحمة الصلوات، فلا يحتاج إلى تقييد بصفة محذوفة، لأنها قد تقيدت. وإن كان أريد بها ما يغاير الصلوات، فيقدر : ورحمة منه، فيكون قد حذفت الصفة لما تقدّم)) [٥٣]
كما نلحظ تكرير اسم الإشارة لزيادة العناية الربانية بهذه الفئة المخصوصة، تعاضد معها مجيء مؤكدَين في سياق النص وهو الضمير(هم) في (أولئك هم المهتدون) و الألف واللام في (المهتدون) لبيان أنّ الهداية اختصّت بهم وهي وصف ثبت لهم يَدلُّك على ذلك صيغة (اسم الفاعل) الذي صيغت منها (الهداية).
وفي قوله تعالى : ((وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا))[٥٤]، إذ عُطف الموصول (الذين) في الجملة الثانية على (المنافقين) في الجملة الأولى؛ إذ خصّهم بـ(المرض) والمراد به هنا: مرض النفاق؛ إذ يرد في بعض المناسبات: أن المرض في كتاب الله -: يطلق ويراد

به: النفاق، وهذا هو الغالب في كتاب الله، كقوله تعالى ((فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً))[٥٥].
وقد يطلق والمراد به: ضعفاء الإيمان، وهو أحد المعنيين في قوله (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ)؛ إذ يحتمل أن هذا قد قيل في صنفين من الناس: وهم المنافقون، وعطف عليه الذين في قلوبهم مرض، لأنّ العطف يقتضي المغايرة، فعطف عليه ضعاف الإيمان. ويحتمل: أنه من قبيل عطف الأوصاف التي ترجع إلى موصوف واحد. [٥٦] وأنّ ((الْوَاو الدَّاخِلَة على الْجُمْلَة الْمَوْصُوف بهَا لتأكيد لصوقها بموصوفها وإفادتها أَن اتصافه بهَا أَمر ثَابت))[٥٧]، ويحتمل وبحسب المناسبة التي نزلت فيها الآية موضع التحليل أنّه من قبيل عطف العام على الخاص؛ إذ المراد بالمنافقين المرض الذي في القلوب وهو الريبة والشك الذي يصيب ضعاف الإيمان عامة (فئة عامة)، عطف على (فئة خاصة) تخصّصوا بالصلة (الذين في قلوبهم مرض) يؤيد كلامنا هذا مناسبة الآية؛ إذ ذهب المفسرون أنّها نزلت في طائفة من المنافقين وهم عبد الله بن أبّي وأصحابه الذين في قلوبهم مرض أهل الشك والاضطراب في واقعة الأحزاب [٥٨] ؛ إذ ((قوبلت أقوال أولئك بأقوال المؤمنين حينما نزلت بهم الأحزاب ورأوا كثرتهم وعددهم وكانوا على بصيرة من تفوّقهم عليهم في القوة والعدد أضعافاً وعلموا أنهم قد ابتلوا وزلزلوا، كل ذلك لم يُخِرْ عزائمهم ولا أدخل عليهم شكاً فيما وعدهم الله من النصر))[٥٩].

وفي قوله تعالى: ((الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ))[٦٠] ، ذكرها الزركشي في باب عطف المترادفين[٦١]، وذهب الزمخشري إلى أنّه من باب عطف الصفة على الصفة [٦٢]، واعترض الزركشي عليه ((بأنّ شرط عطف الصفة على الصفة تغاير الصفتين في المعنى تقول: جاء زيد العالم، والجواد، والشجاع أي الجامع لهذه المعاني الثلاثة المتغايرة ولا تقل: زيد العالم والعالم فإنه تكرار والآية من ذلك لأن المعطوف عليه قوله تعالى: (الذين يؤمنون بالغيب)، والمعطوف قوله تعالى: (والذين يؤمنون بما أنزل إليك) والمنزل هو الغيب بعينه، ويحتمل أن يقال المعطوف عليه مطلق الغيب والمعطوف غيب خاص فيكون من عطف الخاص على العام))[٦٣].
يبدو أنّ اعتراض الزركشي على الزمخشري في غير محلّه؛ إذ سوّغ الزمخشري العطف بدون التغاير بين المتعاطفين بحسب ما فسّره ؛ إذ قال: ((فإن قلت (والذين يؤمنون) أهم غير الأولين أم هم الأولون، وإنّما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع، والجواد قلت يحتمل ان يراد بهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب... ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال تجري حالهم في التلذّذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه آخرون، فزعموا أن ذلك إنّما احتيج إليه في هذه الدار من أجل نماء الأجسام... فيكون المعطوف غير المعطوف عليه))[٦٤]، واحتمل الزمخشري وجهًا آخر هو((أن يراد وصف الأولين ووسط العاطف على معنى أنهم الجامعون بين تلك الصفات))[٦٥]، وقد ((دلّت الآيات والأحاديث على أن لأهل الكتاب أجرين... وبهذا غايروا من قبلهم وقيل التغاير باعتبار أن الإيمان الأول بالعقل، وهذا بالنقل أو بأن ذاك بالغيب وهذا بما

عرفوه كما يعرفون أبناءهم))[٦٦] ؛ لذلك أشار إليهم باسم الإشارة (أولئك) في قوله جلّ وعلا (أولئك على هدى)، إشارة إلى علوّ مرتبتهم لأنّ دلالة الإشارة بـ(أولئك) إنّما يكون للبعد، وفيه ((إشارة إلى الطائفة الأولى؛ لأن إيمانهم بمحض الهداية الربانية))[٦٧]، ثم أردف العطف بتكرار اسم الإشارة (أولئك) في قوله (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) زيادة في الاهتمام والتشريف، وفيه ((إشارة إلى الطائفة الثانية لفوزهم بما كانوا ينتظرونه))[٦٨].

((وتوسيط العطف جار في الأسماء والصفات باعتبار تغاير المفهومات ويكون بالواو والفاء وثم باعتبار تعاقب الانتقال في الأحوال والجمع المستفاد من الواو هنا واقع بين معاني الصفات المفهومة من المتعاطفين والإيمان الذي مع أولهما إجمالي وعقلي ومع ثانيها تفصيلي، ونقلي وإعادة الموصول للتنبيه على تغاير القبيلين وتباين السبيلين وقد يعطف على المتقين والموصول غير مفصول لما يلزم على الوصل الفصل بأجنبي بين المبتدأ وخبره والمعطوف والمعطوف عليه والتغاير بين المتعاطفين باعتبار أن المراد بالمعطوف عليه من آمن من العرب الذين ليسوا بأهل كتاب وبالمعطوف من آمن به صلى الله تعالى عليه واله وسلم من أهل الكتاب))[٦٩]. أي هناك فارق دلالي سوّغ مسألة العطف بين المتعاطفين.

المطلب الثاني/العطف بين الجمل:

قال تعالى: ((وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ)) [٧٠]. ورد السياق بعطف الأفعال (وهن، ضعف، واستكان)، والذي يبدو أنّ المعنى واحد في هذه الأفعال، فإذا كان كذلك فلِمَ ورد السياق عاطفًا بين هذه الأفعال؟، والعطف يقتضي المغايرة بين المتعاطفين، أقول إنّ احتكامنا إلى المعنى المعجمي يكشف لنا دلالة هذه الأفعال، أو لِنَقُل الفارق اللغوي الدقيق الذي سوّغ مجيء العطف بينهم. فهناك فرقٌ لغويٌّ دقيقٌ، ذكره أبو هلال العسكري بين الضَّعف والوَهَن والاستكانة؛ إذ قال : ((إنَّ الضَّعف ضدُّ القوَّة، وهو مِن فعل الله تعالى، كما أنَّ القوَّة مِن فعل الله، تقول: خلقه الله ضعيفًا، أو خلقه قويًّا. وفي القرآن: (وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا)[٧١]، والوَهَن: هو أن يفعل الإنسان فِعْل الضَّعيف، تقول: وَهَن في الأمر يَهِن وَهْنًا. وهو وَاهِن إذا أخذ فيه أخذ الضَّعيف، ومنه قوله تعالى: ((وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ))[٧٢]، أي: لا تفعلوا أفعال الضُّعفاء أي: لا تفعلوا أفعال الضُّعفاء وأنتم أقوياء على ما تطلبونه بتذليل الله إيَّاه لكم. ويدلُّ على صحَّة ما قلنا إنَّه لا يُقَال: خلقه الله واهِنًا، كما يقال: خلقه الله ضعيفًا، وقد يُسْتَعمل الضَّعف مكان الوَهَن مجازًا في مثل قوله تعالى: ((وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ))[٧٣]، أي: لم يفعلوا فعل الضعيف، ويجوز أن يقال: إنَّ الوَهَن هو انكسار الجسد بالخوف ونحوه، والضَّعف نقصان القوَّة، وأمّا الاستكانة فقيل: هي إظهار الضَّعف، قال تعالى: ((وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ)) أي: لم يضعفوا بنقصان القوَّة ولا استكانوا بإظهار الضَّعف عند المقاومة))[٧٤]، وبذا تتكشّف الدلالة بتتبّع المعنى اللغوي لتلكم الأفعال، فالضعف هو حقيقة خلق الإنسان؛ إذ خُلق ضعيفًا من دون تدخّل للإرادة البشرية في ذلك الأمر، أمّا الوهن فهو ضعف

في إرادة بشرية، في حين أنّ الاستكانة هو ضعف مركّب؛ لأنّه مستتبع بذُل وخضوع. وبذلك يتحقّق العطف بصورته الحقيقية لوقوع التغاير اللفظي والمعنوي وإن كان الرابط المعنوي الذي يربط تلكم الأفعال مندرج تحت مفهوم (الضعف)، فعطف ما هو قريب منه في المعنى القصد منه التأكيد[٧٥]، ومن اللطائف الواردة في سياق الآية الكريمة أنّ مجيئها بهذا الترتيب (الوهن ثم الضعف ثم الاستكانة) بحسب الترتيب في تحقّقها؛ لأنّه ((إذا خارت العزيمة فَشِلت الأعضاء، وجاء الاستسلام، فتبعته المذلّة والخضوع للعدوّ))[٧٦] . قال الآلوسي : ((فَما وَهَنُوا عطف على قاتلوا على أن المراد عدم الوهن المتوّقع من القتال والتلبّس بالشيء بعد ورود ما يستدعي خلافه وإن كان استمرارا عليه بحسب الظاهر... ومن هنا صحّ دخول الفاء المؤذنة بترتب ما بعدها على ما قبلها، ومن ذلك قولهم : وعظته فلم يتعظ وزجرته فلم ينزجر، وأصل الوهن الضعف، وفسره قتادة وابن أبي مالك هنا بالعجز، والزجاج بالجبن، أي فما عجزوا أو فما جبنوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ في أثناء القتال وهذا علة للمنفي لا للنفي، نعم يفهم المنفي من تقييد المثبت بهذا الظرف وما- موصولة أو موصوفة- فإن جُعِل الضميران لجميع الربيين فهي عبارة عما عدا القتل من مكاره الحروب التي تعتري الكل، وإن جُعِلا للبعض الباقين بعد قتل الآخرين- وهو الأنسب- كما قيل: بمقام توبيخ المنخذلين بعد ما استشهد الشهداء- فهي عبارة عن ذلك أيضا مع ما اعتراهم بعد قتل إخوانهم من نحو الخوف والحزن))[٧٧].

وفي قوله تعالى: ((وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى))[٧٨]. عطف (الخشية) على (الخوف) في سياق الآية الكريمة(لا تخاف ولا تخشى)، وفي الوهلة الأولى يُخال أنّها من المترادفات (الخشية والخوف) إلّا أنّ المعنى اللغوي يكشف الخيط الدقيق لمعنى المفردتين. قال ابن القيم في الفرق بين الخوف والخشية،الخوف: هو هروب القلب من حلول المكروه عند استشعاره، أمّا الخشية فهي أخصّ من الخوف؛ إذ إنّ الخشية للعلماء قال الله تعالى ((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ))[٧٩].فهي إذن خوف مقرون بمعرفة، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :((إني أتقاكم لله وأشدّكم له خشية))، فالخوف حركة والخشية انجماع وانقباض وسكون؛ إذ إنّ الذي يرى العدو والسيل ونحو ذلك له حالتان الأولى : حركة للهروب منه وهي حالة الخوف، والثانية : سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه فيه وهي الخشية[٨٠]. وبهذا ينتفي عطف الترادف بين (الخوف والخشية) بظهور الاختلاف الدلالي بين الفعلين، إذ إنّ فضل اجتماع المتعاطفين في هذا السياق أدى إلى اكتمال المعنى والوصف، فالفعل(تخاف) لا يغني عن (يخشى)؛ لأنّ الذي يرى العدو والسيل له حالتان، حركة للهروب (خوف) + سكون وقرار(خشية)، كذلك نجد أن العطف التركيبي في جملة (لا تخاف)، وجملة (لا تخشى) ترابطا أولًا فيما بينهم داخليًا من خلال عطف الفعل (تخشى) على الفعل (تخاف) بإحدى أدوات العطف وهي (الواو) التي توجب الاشتراك بين الشيئين في حكم واحد، قال أبو السعود إنّ جملة : ((«وَلاَ تخشى» عطف على «لا تخاف» داخلٌ في حُكمهِ أيْ ولا تخشى الغرقَ وعلى قراءة الجزم استئنافٌ أي وأنت لا تخشى، أو عطفٌ عليه... وتقديم

نفي الخوفِ المذكورِ للمسارعة إلى إزاحة ما كانوا عليه من الخوف العظيمِ حيث قالوا إنا لمدرَكون)) [٨١] ، ثم ترابط هذا التركيب مع ما قبله ؛ إذ شغل موقع الحالية ؛ فجملة (لا تخاف) حالية من فاعل (اضرب) أي: اضرب غير خائف أو صفة لطريقًا والعائد محذوف، أي لا تخاف فيه[٨٢]، كما أنه ارتبط بما بعده ؛ فقوله تعالى : ((فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ ما غَشِيَهُمْ))[٨٣]، ((فالفاءُ فصيحةٌ مُعربة عن مُضمر قد طُوي ذكرُه ثقةً بغاية ظهورِه وإيذاناً بكمال مسارعة موسى عليه الصلاة والسلام إلى الامتثال بالأمر أي ففعل ما أُمر بهِ من الإسراء بهم وضرْب الطريقِ وسلوكِه فأتبعهم فرعونُ بجنوده براً وبحراً))[٨٤]، وبذلك تماسك تركيب العطف أولا فيما بينه، ثم ترابط مع ما قبله، ومع ما بعده من الكلام داخل النص سياقيًا، كذلك ثبُت عم الترادف بين المتعاطفين لاقتضاء التغاير بينهما احتكامًا إلى الدلالة اللغوية.

وفي قوله تعالى: ((سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ))[٨٥]، إذ قيل إنّ مسوّغ العطف بين (تبقي) و(تذر) اتحادهما في المعنى، والأمر خلاف ذلك؛ إذ قال الزمخشري: ((لاَ تُبْقِى شيئاً يلقى فيها إلاّ أهلكته ؛ وإذا هلك لم تذره هالكاً حتى يعاد.))[٨٦]، أي ((لا تترك لهم عظمًا ولا لحمًا ولا دمًا إلا أحرقته. وقيل : لا تبقي منهم شيئا ثم يعادون خلقًا جديدًا))[٨٧]، فيكون المعنى متغايرًا بين الهلاك والعود من جديد، بدليل ما جاء في القرآن الكريم في قوله جلّ وعلا((إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا))[٨٨].

في ما تقدّم تناولنا آيات من الذكر الحكيم قال فيها النحاة والمفسرون أنّها من باب عطف المترادفين في القرآن الكريم ووضع له النحاة قسمًا، وهذا يناقض ما ذهب إليه النحاة من أنّ أسلوب العطف يقتضي المغايرة بين المتعاطفين والترادف يقتضي المطابقة. فقول الزركشي ((عطف أحد المترادفين على الآخر))[٨٩]. يتبيّن من عبارته أنَّه قصد بالترادف تطابق المعنى ؛بدليل قوله اللاحق ((أو ما هو قريب منه في المعنى والقصد منه التأكيد))[٩٠] إذ بقوله هذا إنما أراد تجويز عطف الألفاظ المتطابقة معنًى، فضلا أنّه جوّز عطف الألفاظ المتقاربة معنى في القرآن الكريم مستقصيًا بعض الآيات؛ إذ نجده يقول: ((أنكر المبرد هذا النوع، ومنع عطف الشيء على مثله، وأوّل ما سبق على اختلاف المعنيين، ولعله ممّن ينكر أصل الترادف في اللغة كالعسكري وغيره))[٩١] .

وبوقوف بحثنا هذا على الآيات التي قيل فيها أنّها من قبيل عطف المترادفين، استقصاء ودراسة وتحليلا تبيّن أنّ لا صحة لوجود ألفاظً تطابقت معانيها في القرآن الكريم؛ إذ لكل لفظ دلالته الخاصة به الواردة في سياق خاص؛ إذ إنّ الأخير له دور في اكتساب اللفظ خصوصيته بتضافر القرائن المحيطة بالسياق ومنها سياق الحال والمقام، أضف إلى ذلك المعنى المعجمي.

النتائج

توصلت نتائج الدراسة إلى:

١- لا صحة لوجود ما أطلق عليه النحاة العطف بين المترادفين، لأنّ أسلوب العطف إنّما يقتضي التغاير بين المتعاطفين، والترادف يقتضي المطابقة.

٢- أنكر المبرد هذا النوع، ومنع عطف الشيء على

مثله، وأوَّل ما سبق على اختلاف المعنيين.

٣- بعض الآيات التي وسمها النحاة والمفسرون بأنّها من عطف المترادفين، اتضح أنّها من باب عطف الخاص على العام، ومن باب عطف الصفة على الموصوف.

٤- تضافر المعنى المعجمي مع القرائن اللفظية والمعنوية الواردة في السياق لإعطاء الألفاظ - التي قيل بترادفها- خصوصية ما لخدمة المعاني المتوخاة من النص القرآني، فضلًا عن أسباب النزول، ومراعاة أحوال المخاطب.

الهوامش

١- شرح المفصل: ٥/ ٥-٦.
٢- ينظر: م. ن ٢/ ٢٧٦.
٣- ينظر: لسانيات النص ١٠١.
٤- النسق القرآني: ٢٩٨.
٥- النسق القرأني : ٢٩٩.
٦- ينظر: مغني اللبيب ٤٨١، البرهان في علوم القرآن٤٧٢/٢، شرح التصريح ١٦٠/٢، ١٨٠.
٧- الكليات: ٣١٦.
٨- البرهان: ٢/ ٤٧٧.
٩- ينظر: البرهان ٢/ ٤٧٣، والإتقان ٣/ ٢٤٠.
١٠- الفروق اللغوية: ١٣.
١١- سورة يوسف: ٨٦.
١٢- ينظر: مغني اللبيب ٤٦٧، البرهان ٢/ ٤٧٣، همع الهوامع ١٨٧/٣.
١٣- ينظر: الكليات ١٤١، ٢٥١، الجامع ٩ / ٢٥١.
١٤- سورة المرسلات: ٤٠٥.
١٥- ينظر: معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٦٦، همع الهوامع ٣/ ١٨٧.
١٦- ينظر: شرح التسهيل ٣/ ٣٦٤-٣٦٥.
١٧- ينظر: اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٦٣.
١٨- لسان العرب، مادة(عذر): ٤/ ٥٤٥.
١٩- لسان العرب، مادة(نذر) : ٥/ ٢٠٣.
٢٠- سورة النساء: ١١٠.
٢١- سورة النساء: ١١٢.
٢٢- ينظر: شرح التسهيل ٣/ ٣٦٤- ٣٦٥، الجامع لأحكام القرآن٣٨٠/٥، والبرهان في علوم القرآن ٢/ ٤٧٠- ٤٧١، همع الهوامع ١٨٧/٣.
٢٣- ينظر: لسان العرب، مادة(خطأ) ٦٧/١، ومادة(أثم)١٢/ ٥.
٢٤- ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٣٨١.
٢٥- سورة التوبة: ٧٨.
٢٦- ينظر: البرهان ٢/ ٤٧٣.
٢٧- الفروق اللغوية: ٦٣.
٢٨- سورة المائدة: ٤٨.
٢٩- ينظر: شرح التسهيل ٣/ ٣٦٥، همع الهوامع ١٨٧/٣.
٣٠- سورة الشورى: ١٣.
٣١- المفردات: ٤٥٠.

٣٢- ينظر: الكليات ٥٢٤.
٣٣- دلائل الإعجاز: ٢٢٤.
٣٤- سورة البقرة: ١٧١.
٣٥- ينظر: البرهان ٤٧٣/٢.
٣٦- الفروق اللغوية: ٣٨.
٣٧- سورة البقرة: ٢٢١.
٣٨- فروق اللغات: ١٢٩.
٣٩- ديوانه:٩١.
٤٠- التحرير والتنوير: ٢/ ١١٢- ١١٣.
٤١- مبادئ اللسانيات: ٢٩٥.
٤٢- سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧.
٤٣- ينظر: مغني اللبيب ٤٦٧.
٤٤- روح المعاني: ١١ / ٢٢١.
٤٥- م. ن.
٤٦- البرهان: ٢/ ٤٧٤.
٤٧- سورة الفجر: ٢١-٢٢.
٤٨- حاشية البجيرمي: ٥٣/١.
٤٩- م. ن.
٥٠- ينظر: المحرر الوجيز: ١/ ٢٢٨.
٥١- ينظر: البحر المحيط ١ / ٦٢٥.
٥٢- م. ن
٥٣- البحر المحيط: ١/ ٦٢٥.
٥٤- سورة الأحزاب: ١٢.
٥٥- سورة البقرة: ١٠.
٥٦- ينظر: البحر المحيط ٢١٢/٧، روح المعاني ٢١/ ١٥٨.
٥٧- مغني اللبيب: ٤٧٧.
٥٨- ينظر: الكشاف ٥٣٥/٣، فتح القدير ٢٦٦/٤.
٥٩- التحرير والتنوير: ٣٠٤/٢١.
٦٠- سورة البقرة: ٤.
٦١- ينظر: البرهان ٢٧٤/٢.
٦٢- الكشاف: ٨٢/١.
٦٣- البرهان: ٢٧٤/٢.

٦٤- الكشاف: ٨٢/١-٨٣.
٦٥- م. ن ٨٣/١.
٦٦- روح المعاني: ١٢٢/١.
٦٧- م. ن
٦٨- م. ن
٦٩- روح المعاني: ١٢٢/١.
٧٠- سورة آل عمران: ١٤٦.
٧١- سورة النساء: ٢٨.
٧٢- سورة آل عمران: ١٣٩.
٧٣- سورة آل عمران: ١٤٦.
٧٤- الفروق اللغوية:١١٥- ١١٦.
٧٥- ينظر: البرهان ٢/ ٤٧٢.
٧٦- التحرير والتنوير: ١١٩/٤.
٧٧- روح المعاني: ٢٩٦/٢-٢٩٧.
٧٨- سورة طه: ٧٧.
٧٩- سورة فاطر: ٢٨.
٨٠- ينظر: مدارج السالكين ٥٠٧/١ - ٥٠٨.
٨١- إرشاد العقل السليم: ٦ / ٣١- ٣٢.
٨٢- إعراب القرآن وتوجيهه(محيي الدين درويش): ٦/ ٢٢٥.
٨٣- سورة طه: ٧٨.
٨٤- إرشاد العقل السليم: ٦/ ٣٢.
٨٥- سور المدثر: ٢٦-٢٧.
٨٦- الكشاف: ٤/ ٦٥٢.
٨٧- الجامع لأحكام القرآن:١٩ /٧٧.
٨٨- سورة طه: ٧٤.
٨٩- البرهان ٢ / ٢٧٤.
٩٠- م. ن
٩١- م. ن ٢/ ٢٧٦.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤ م.

٢- إعراب القرآن الكريم وبيانه: محيي الدين الدرويش، اليمامة/ دمشق- بيروت، دار ابن كثير/ دمشق- بيروت، ط٣، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٣- البرهان في علوم القرآن: : أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط ١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.

٤- التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (١٣٩٣هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م.

٥- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٦- تفسير البحر المحيط ـ المؤلف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – ط١، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٧- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١ هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب- الرياض/ المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٣ م.

٨- حاشية البجيرمي على الخطيب وهو: الشيخ سليمان بن محمد بن عمر البجيري الشافعي(١٢٢١هـ)، المسماة (تحفة الحبيب على شرح الخطيب) المعروف بالإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع للشيخ : محمد بن أحمد الخطيب الشربيني(٩٧٧هـ)، دراسة وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوّض، قدّم له الدكتور: محمد بكر إسماعيل، دار الكتب العلمية- لبنان، ١٩٧١م.

٩- حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك : أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (١٢٠٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط١،١٤١٧ هـ -١٩٩٧م.

١٠- دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق : د.محمد التنجي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١، م١٩٩٥م.

١١- ديوان الأخطل: تحقيق: الدكتور/ فخر الدين قباوة، دار الفكر (دمشق - سورية)، ودار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، ط١٤١٦،٤ هـ - ١٩٩٦ م، ط ١،١٩٧١ م.

١٢- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (١٣٤٢هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت

١٣- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو: خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (المتوفى: ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٤- شرح المفصل للزمخشري: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع(المتوفى: ٦٤٣هـ)، قدم له: الدكتور

إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
١٥- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ.
١٦- فروق اللغات في التمييز بين مفاد الكلمات، لنورالدين بن نعمة الله الجزائري، حققه وشرحه الدكتور محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
١٧- الفروق اللغوية : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.
١٨- كتاب الكليات : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٩- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٠- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ-١٩٩٨م.
٢١- مبادئ اللسانيات: أحمد قدور، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
٢٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - لبنان، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٢٣- مدارج السالكين: ابن القيم الجوزية (٦٩١هـ - ٧٥١هـ)، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي/ بيروت – لبنان، ط ٧، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
٢٤- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، ط٦، ١٩٨٥م.
٢٥- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (٥٠٢هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ.
٢٦- النسق القرآني(دراسة أسلوبية): د. محمد ديب الجاجي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.